

التحديات السياسية والعسكرية التي واجهت الخليفة عبد الله وأثرها في سقوط الدولة المهديّة (1885-1898م)

نبيل رابح آدم سعيد

أ. مساعد - قسم الجغرافيا والتاريخ - كلية التربية - جامعة كسلا

مستخلص

توفي الإمام محمد أحمد مؤسس وقائد الثورة المهديّة في العام (1885م) بعد ستة أشهر فقط من تحرير الخرطوم تاركاً دولته الناشئة للخليفة عبد الله التعايشي الذي كان عليه أن يواصل ما بدأه المهدي من بناء دولته الجديدة بالسودان، وفي سبيل ذلك واجهته العديد من التحديات الداخلية والخارجية ومنها التحديات السياسية والعسكرية.. تأتي هذه الدراسة بعنوان التحديات السياسية والعسكرية التي واجهت الخليفة عبد الله وأثرها في سقوط الدولة المهديّة (1885-1898م)، وتهدف إلى إبراز الشخصية القيادية للخليفة عبد الله التعايشي، والتعرف على دولة المهديّة في عهد الخليفة عبد الله التعايشي، والوقوف على التحديات التي واجهته بعد توليه قيادة الدولة المهديّة، والوقوف على قيمة التحديات السياسية والعسكرية في التعجيل بنهاية الدولة المهديّة.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من واقع أنها تتناول جانباً حاسماً ومهماً في واحدة من أهم فترات الحكم الوطني في التاريخ السوداني، وهي التحديات السياسية والعسكرية التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي ودور تلك التحديات في التعجيل بنهاية الدولة المهديّة. تم تقسيم هذه الدراسة إلى أربعة مباحث حيث يتناول المبحث الأول تاريخ الدولة المهديّة في عهد الخليفة عبد الله التعايشي، بينما يتناول المبحث الثاني التحديات السياسية التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي، أما المبحث الثالث فيتناول التحديات العسكرية التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي، وأخيراً المبحث الرابع ويتناول دور التحديات السياسية والعسكرية في التعجيل بنهاية الدولة المهديّة، ثم تأتي الخاتمة وبعدها النتائج والتوصيات. وقد اتبعت هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي للحقائق التاريخية وتوصلت إلى عدد من النتائج أهمها أن الخليفة عبد الله التعايشي سعى جاهداً لاستكمال مشروع الدولة السودانية الحديثة التي بدأها محمد أحمد المهدي، وأن ثمة تحديات سياسية وعسكرية واجهته وكانت وراء النهاية المبكرة للدولة المهديّة، لتأتي توصيات الدراسة بضرورة الوقوف على أهم العوامل التي كانت وراء تلك التحديات للاستفادة منها في مستقبل الحكومات.

Abstract

Imam Muhammad Ahmad, founder and leader of the Mahdist Revolution, died in the year (1885 AD), just six months after the liberation of Khartoum, leaving his emerging country to Caliph Abdullah Al-Taishi, who had to start what he was tasked with building his new state in Sudan, and for that he faced many internal and external challenges. And that political and military challeng.. This study comes under the title of political and military challenges that faced Caliph Abdullah and its impact on the fall of the Mahdia state (1885-1898 AD), and aims to highlight the leadership figure of Caliph Abdullah Al-Taishi, and to identify the state of Mahdia during the era of Caliph Abdullah Al-Taishi, and stand On the challenges that he faced after assuming the leadership of the Mahdia state, and understanding the value of political and military challenges in expediting the end of the Mahdia state.

The importance of this study comes from the fact that it deals with a critical and important aspect in one of the most important periods of national rule in Sudanese history, which are the political and military challenges that faced the rule of Caliph Abdullah Al-Taishi and the role of these challenges in accelerating the end of the Mahdist state.

This study has been divided into four sections. The first topic deals with the history of the Mahdi state during the reign of Caliph Abdullah Al-Taishi, while the second topic deals with the political challenges that faced the rule of Caliph Abdullah Al-Taishi, while the third topic deals with the military challenges that faced the rule of Caliph Abdullah Al-Taishi, and finally The fourth topic deals with the role of political and military challenges in expediting the end of the Mahdist state, then the conclusion comes and then the results and recommendations.

This study has followed the descriptive analytical historical approach to historical facts and reached a number of results, the most important of which is that Caliph Abdullah Al-Taishi sought to complete the project of the modern Sudanese state initiated by Muhammad Ahmed Al-Mahdi, and that there are political and military challenges that he faced and were behind the early end of the Mahdia state, the recommendations of the study should come Finding out the most important factors behind these challenges in order to benefit from them in the future of governments.

تقديم:

يعد الخليفة عبدالله التعايشي أحد الحكام السودانيين الذين واجهت فترات حكمهم إنتقادات لاذعة من قبل الباحثين سواء الأقدمين منهم أو المعاصرين، إلا أن تلك الإنتقادات لم تأت من فراغ فقد كانت هنالك العديد من المشكلات والتحديات التي صاحبت هذه الدولة طوال عهدها الأمر الذي حال دون أن تتمكن من تحقيق أهدافها وبرامجها على الوجه المطلوب مما كان له الأثر في حدوث العديد من الإخفاقات في شتى المجالات لا سيما السياسية

والعسكرية، فدولة المهديّة في عهد الخليفة عبد الله التعايشي لم تجد السند المحلي والإقليمي اللذان يؤهلانها للقيام بدورها وبالتالي فإن غياب ذلكم السند والدعم أدخلها في صراعات سياسية وعسكرية كانت في غنى عنها وهي ظروف بالطبع عجلت بنهايتها. فإذا كانت الأقدار قد ساقطت الخليفة عبدالله التعايشي ليكون رجل الدولة المهديّة الأول بعد وفاة قائدها ومؤسسها محمد أحمد المهدي، فإن ذات الأقدار قد وضعته أمام ظروف بالغة التعقيد وكانت قاصمة الظهر له ولدولته، والتي من أهمها على الإطلاق ثورات الأشراف التي أنهكت قوى الدولة المهديّة وصرفت قائدها عن مشروعه الأساسي الذي كان منوط به الإعتناء به وهو إستكمال بناء دولة الإسلام في السودان، هذا إلى جانب الأعمال العسكرية المرهقة التي فرضتها نفس تلك الثورات، كما فرضتها ظروف أخرى لا تقل أهمية طالما أن التوسع الخارجي من بين أهم أجندة الدولة فكانت الحرب ضد الحبشة والحرب ضد مصر كلها تحديات ألقت بظلالها على ما آلت اليه الأمور في الدولة المهديّة.

أ/ تاريخ الدولة المهديّة في عهد الخليفة عبد الله التعايشي:

لقد أثار إعلان المهديّة مجتمع الفقراء والعلماء في السودان إثارةً واسعة، وعلى ما يذكر نعوم شقير فإن أغلبهم رد على محررات المهدي مؤيداً ومعضداً، وإن القليل منهم كان معارضاً، وعلى ما يذكر فإن محمد سعيد باشا مدير كردفان وقف على هذه المحررات عندما جاء إلى الجزيرة أبا بعد خروج المهدي منها، وأنه أحرقها، والقول بتأييد الغالبية من العلماء والفقراء لدعوة المهدي يمكن أن يفهم في إطار معارضة هذه الشريحة المهمة من المجتمع السوداني للإدارة المصرية التركية، وكرههم لسلوك الحكام وظلمهم، وتطلعهم لإقامة حكم إسلامي عادل قائم على الشرع الإسلامي، أما معارضة القلة، فكانت حول إستيفاء محمد أحمد لشروط المهديّة، وحيرتهم بين تصديقه وتكذيبه¹.

وكيفما كان فقد توفي محمد أحمد المهدي في الثاني والعشرون من يونيو للعام 1885م، أي بعد مرور ستة أشهر فقط من تحرير الخرطوم، في وقت كانت الدولة أحوج ما تكون له على اعتبار شخصيته، أما الخليفة عبد الله التعايشي فقد توفرت لديه أفضل الأسباب لخلافة الإمام المهدي، حيث كان تعيينه كخليفة الصديق يعني أن يخلف المهدي كما خلف أبوبكر الصديق النبي².

وبعد وفاة المهدي مباشرةً اجتمعت القيادات في المهديّة لاختيار خليفة له، وكان على رأس المجتمعين الخلفاء الثلاثة والفكي الدرديري وأحمد شرفي الملقب بجدة الأشراف وأظهر الأشراف رغبتهم في السلطة وأن يكون الخليفة شريف حامد ابن عم المهدي هو من يخلف المهدي، وعارضهم بقية الحضور وثار الجدل بين الفريقين بينما بقي التعايشي صامتا، حتى حسم الفكي الدرديري الموقف عندما نهض وبايع الخليفة عبد الله ثم تبعه على ود حلو وأحمد شرفي ثم

خرج الخليفة إلى المسجد واعتلى المنبر وظل يتلقى البيعة حتى منتصف الليل، وأرسل العديد من الخطابات إلى انحاء البلاد يعلن فيها وفاة المهدي وخلافته له، بينما طلب من العمال أخذ البيعة³.

إذن من خلال هذا الاجتماع الذي انتهى بتنصيب التعايشي خليفة للمهدي يتضح بجلاء أن المهمة التي تنتظره لن تكون سهلة فقد ظهرت بوادر التنافس على السلطة منذ الوهلة الأولى بعد وفاة المهدي، وهي مسألة سوف تلقي بظلالها على سلوك الحاكم والمحكومين فيما بعد، وسوف تكون لها دورها في زيادة العبء على الدولة فضلاً عن أعباءها التي تنتظرها والتي من بينها وأهمها على الإطلاق ضرورة الإستمرار.

لقد حاول التعايشي أن يضيف لسلطته الجديدة صبغة دينية شرعية وذلك عندما أعلن أنه هو أيضاً جاءته حضرة نبوية تنصبه خليفة للمهدي، وتم توزيعها على نطاق واسع في منشور عرف باسم منشور الشعرة، ذكر فيه التعايش أن الحضرة جاءت عن الخضر وليس الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مباشرة، وذلك حتى لا يضع نفسه في مكانة المهدي، وقال الخضر في الحضرة أن الله أخبر جبريل وأن جبريل أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم وأن الرسول أخبر المهدي وأن المهدي أخبر الخضر أن الله يقرئ الخليفة السلام وأنه أعطاه الهداية، ويتحدث المنشور عن شعرة المهدي التي فيها السر الإلهي والتي ظل يحتفظ بها أحمد سليمان أمين بيت المال ثم سلمها الخليفة الذي قام بابتلاعها فحل فيه ذلك السر، وبهذا أكد الخليفة الأساس الديني لمكانته ولكن ذلك التأكيد لم يكن كافياً لأن أسباب الصراع ما زالت قائمة⁴.

بعض ملامح الإدارة في عهد الخليفة عبد الله التعايشي:

نتيجة للظروف الخاصة التي واجهتها الدولة المهدية نشأ تقسيم إداري بمسميات خاصة بالدولة المهدية والتي تمثلت في:

1. عمالات حربية تمثلت في عمالات دنقلا وكردفان ودارفور والقضارف وهذه العمالات حملت قلب المهدية من الجنود وكان أمراؤها أفراد حربيين، كما كان لها أمناء لبيت المال من المديريات لإعاشة أفراد الجيش المحليين⁵.
2. عمالات إقليمية (حضرية) وتتكون من المناطق النيلية والقريبة وهي جميعها متصلة بأمناء المال بأم درمان وليس لها جيوش مستقلة⁶.

في عهد التعايشي تولى منصب بيت المال كل من النور إبراهيم الجريفاوي وعوض المرضي، وكان هنالك كتبة حسابات من الأجانب وبخاصة من المصريين الأقباط، وقد شهد إقتصاد البلاد في عهد التعايشي ضموراً وإنكماشاً في نموها فتدهورت الزراعة وقلت المحصولات، بينما لم تحظ التجارة بالقدر الكافي من الحماية رغم إستمرارها بواسطة التجار الأجانب الذين كانت لهم القدرة على حماية أنفسهم وأموالهم، حيث نشطت تجارة المواد المهربة والتي

تشمل السلع المحرمة والمحظور تداولها مثل الخمر والحشيش والأفيون، أما الموارد المالية للدولة فكانت تتكون من الضرائب والزكاة والعشور، إلى جانب الأموال التي يتم مصادرتها من المجرمين والمهربين وأموال الغرامات التي تفرضها الدولة على شارب الخمر ومرتكبي المخالفات عموماً⁷.

في عهد الخليفة عبد الله التعايشي أعيد تنظيم النظام القضائي بعد فقدان الأشراف لوضعهم المميز، حيث نشأ من جراء ذلك منصب قاضي الإسلام الذي تولى أمره أحمد علي، وجاء تعيين سليمان الحجاز وكيلاً لقاضي الإسلام، الذي كان من أهم إختصاصاته القيام بأعمال التقاضي العادي كمحكمة محلية، كما ينظر في القضايا التي تحول له من الخليفة عبد الله التعايشي، وفي عام 1894م عزل الخليفة قاضي الإسلام أحمد علي وعين بدلاً عنه حسين الزهراء، ثم اختلف معه التعايشي فعزله وعين مكانه عبد القادر ود أم مريوم بعد أن فقد هذا المنصب أهميته ومكانته وذلك نظراً لأنه أصبح محفوظاً بالمخاطر⁸.

انه لمن الممكن أن يقال إن كل هذه الممارسات التي إتصلت بالإدارة والإقتصاد والقضاء هي بداية نظم لدولة ناشئة كان يمكن أن تتطور وتحسن لو أنها وجدت الجو المناسب للتطور والذي كان من الممكن أن يتأتى بتضافر جهود قادتها وأمرائها الذين أرادوا لها غير ذلك عندما اختاروا الصراع على السلطة طريقاً للوصول إلى غاياتهم وآمالهم، فكان أن حدث ما لا يحمد عقباه وهو النهاية المبكرة لتلك النظم الإدارية والإقتصادية والقضائية وبالتالي نهاية الدولة.

لقد كان الخليفة عبد الله التعايشي يعلم تماماً حقيقة التنافس الشديد الذي ينتظره من معارضييه على السلطة لذلك عمد على إتباع مجموعة من الإجراءات التي من شأنها أن تحافظ على سلطته حيث إصطفى أخاه الأمير يعقوب وأصبح له نفس المركز الذي كان يحتله الخليفة من المهدي، فأصبح يعقوب القوة التي وراء العرش، فهو المشرف على الجيش يعين قواده ويمده بالزاد والمعدات الحربية، وهو وزير الداخلية من حيث عمال الأقاليم يوفق بينهم وبين رعاياهم لو اختلفوا، وهو يعنى بشؤون ما يسمى بالبوغازات ومحطات الحدود، وهو محافظ أم درمان عاصمة المهديّة، وهو المشرف على شؤون بيت المال عصب الإدارة، فهو على وجه الإجمال الكل في الكل⁹. ومن الإجراءات أيضاً أن الخليفة عبد الله التعايشي قام بفصل أحمد سليمان من منصب مدير بيت المال وعين بدلاً منه إبراهيم ود عدلان وكان من عرب الكواهل على النيل الأزرق ولكنه أمضى عدة سنوات يشتغل بالتجارة في كردفان، وكانت له حظوة عند التعايشي، وطلب الخليفة من ود عدلان أن يجعل حساباً للوارد والمنصرف وأن يكون لهذا الحساب دفاتر يمكن مراجعتها في أي وقت وتعرف منها الحالة المالية، وأمره أيضاً بأن يضع قائمة عن جميع أولئك الذين يتسلمون أي مبالغ من المال والذين يقبضون مرتباً¹⁰.

ولعل هذه السياسة في حد ذاتها تكفي لحشد العداء من قبل العناصر الأخرى ضد حكم

ال خليفة عبد الله التعايشي وأخوه يعقوب الذي أسماه جراب الرأي، ولكن هل يلام الخليفة عبد الله التعايشي عليها؟ إن من العدل موافقة الخليفة عبد الله التعايشي على ما ذهب إليه ذلك لأنه كان منوط به المحافظة على دولته ومنعها من أي خارج ولا يتأتى له ذلك إلا بتلك الإجراءات التي قام بها وغيرها من الإجراءات إن أمكن له ذلك.

يقول ابن خلدون في مقدمته: (اعلم أن صاحب الدولة إنما يتم أمره بقومه، فهم عصابته (وظهراؤه) على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته، ومنهم يقلد أعمال مملكته ووزارة دولته، وجباية أمواله، لأنهم أعوانه على الغلب وشركاؤه في الأمر، ومساهموه في سائر مهماته...) ¹¹.

ب- التحديات السياسية التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي:

تأجل انفجار الصراع على السلطة أيام المهدي إذ تضافرت عدة عوامل حالت دون ذلك، فوضع المهدي المتميز بصفته خليفة رسول الله أبعد أي منافس له عن المنصب، كما أن فكرة المهدي المنتظر إحتوت التمايز القبلي والطائفي والإقليمي لحظة النهوض الثوري فكانت تعبيراً عن الطموح القومي في مرحلة تكوينه الجنيني، وأصبح الجهاد ضد الحكم الأجنبي عملاً موحداً وهدفاً تجسد فيه طموح الناس، هذا إلى جانب الإنتصارات العسكرية التي تحققت وبروز مقدرات المهدي القيادية والتي رسخت مكانته، فضلاً عن تعزيزه هو لتلك المكانة وذلك بسياساته التي كانت بعيدة عن التحيز لأهله وعشيرته أو بقبيلة على أخرى أو طائفة على طائفة، هذه العوامل مجتمعة أجّلت انفجار الصراع على السلطة، ولكنها لم تلغ ظروفه الموضوعية ¹².

والحقيقة أن الخليفة عبد الله التعايشي واجه معارضة من الأشراف منذ أيام حكمه الأولى والتي تفجرت في مواجهة مسلحة، ثم تطورت إلى صراع بين مجمل أولاد البلد وأولاد العرب، وعادت الفوارق والولاءات القبلية إلى سابق عهدها وأخذت كل قبيلة تجمع أطرافها وتبحث لها عن مكان في إطار الدولة الجديدة ¹³.

ثورة الأشراف على الخليفة عبد الله التعايشي:

لقد وجد الأشراف بعد أن إعتد الخليفة عبد الله التعايشي على أهله في الحكم والإدارة وجدوا أنفسهم في وضعية لا يحسدون عليها، وبالتالي كان لابد لهم من المقاومة، فعلقوا آمالهم على قريبهم محمد خالد زقل عامل دارفور الذي لم يستجب لأوامر المهدي بالهجرة من دارفور للانضمام بجيشه للإسهام في فتح الخرطوم، وظل بالفاشر حتى وفاة المهدي، بينما لم يستجب لنداءات التعايشي المتكررة له بعد تولي التعايشي الحكم، حيث إستمر في التباطؤ للإستجابة لطلب الحضور إلى أم درمان، الأمر الذي أثار مخاوف الخليفة من أن يعتمد الأشراف عليه في نزاعهم ضده ورأى ضرورة إتخاذ التدابير اللازمة لحسمه على الرغم من أنه لا أحد يعلم نواياه ¹⁴. ولكن الأشراف هم من أجبر الخليفة عبد الله التعايشي في أم درمان على

التعامل معهم ومع كل معاونيهم بحسم سريع، في وقت كان هو يجتهد فيه على التعامل بروية، ومناقشة الأمور بطرق سلمية ودية¹⁵.

لقد جاهر الأشراف بالعداء للخليفة عبدالله التعايشي وكثرت 'اجتماعاتهم' وانتشرت الشائعات بمؤامرة يدبرونها في الخفاء ويقوم فيها جيش زقل بدور رئيس، الأمر الذي جعل التعايشي يقرر تحطيم معارضة خصومه وذلك بتجريد الخليفة شريف من حرسه وأسلحته ورايته بحجة توحيد الجيش المهدوي لغرض مواجهة الإنجليز في شمال السودان، وحتى لا يبدو انحازاً أمر بتجريد على ود حلو كذلك من رايته أسوة بالخليفة شريف، ففعل علي ود حلو بينما تبعه شريف بالفعل مكرهاً، وتم التسليم في منتصف مارس من العام 1886م¹⁶. ولكي ينهي التعايشي آمال الأشراف في المعارضة نهائياً قرر تجريد محمد خالد زقل من جيشه وإحضاره إلى أم درمان عنوة، فاستعمل أحد مقربيه ليقوم بقطع الإتصال بين زقل والعاصمة، كما أمر حمدان عامل جبال النوبة بتصفية قوة محمد خالد زقل والقاء القبض عليه، وبالفعل تمت التصفية في أبريل من العام 1886م، بينما أرسل محمد خالد زقل إلى أم درمان أسيراً¹⁷.

إن ردة فعل الخليفة عبد الله التعايشي تجاه الخليفة شريف ومحمد خالد زقل لم تأت من فراغ خاصة وأنها جاءت في توقيتين متقاربين (تجريد الخليفة شريف في منتصف مارس 1886م وتجريد زقل في أبريل 1886م)، فهناك مصادر تقول أنه تم ضبط خطاب من محمد خالد زقل إلى الخليفة شريف حين وفاة المهدي ينصحه فيه ألا يتنازل عن أسلحته وقوته، وأنه أي زقل رهن بإشارته، فإن أراد أن يزحف بقواته إلى مصر فعل، إلا أن هذه الرواية تفتقر إلى تأكيد¹⁸، غير أنه لا ينبغي تجاهلها باعتبارها إحدى العوامل التي كانت وراء تشديد الخليفة عبد الله التعايشي للخنق على الأشراف، ويكفي أنها كانت كفيلة بإدخال الشك في نفس الخليفة عبد الله التعايشي تجاه تصرفات القائد محمد خالد زقل.

وكيفما كان فقد بات الوضع في أم درمان بعد كل هذه الأحداث مهدداً بالإنهيار، ذلك لأن الأشراف عزموا على الثورة بعد الذي جرى لهم، فكونوا جمعية سرية للقيام بقتل الخليفة عبدالله التعايشي وإستلام الأمور بالقوة، إلا أن التعايشي علم بمكيدتهم فأتخذ من التدابير ما يكفي للتنكيل بهم وجهز نفسه لذلك، وعندما علم الإشراف بافتضاح أمرهم بادروا بالهجوم المسلح على التعايشي قبل أن ينكل بهم فاحتلوا قبة المهدي وبعض البيوت المجاورة لها وأمدوا أتباعهم بالسلاح والذخيرة، بينما قام الخليفة عبد الله بتوزيع السلاح والذخيرة للملازمين وجعلهم في حالة استعداد تام لمواجهة أي اعتداء عليه كما اتخذ عدة إجراءات أخرى منها أنه أرسل بعض من قواته إلى أحياء أم درمان لمراقبة الأشراف ومنع وصول أي إمدادات اليهم، كما أمر أهله التعايشة باحتلال الساحة الواقعة بين منزله ومنزل الأشراف، في وقت أمر فيه أخاه يعقوب أن يقيم في المسجد بجيشه، كل ذلك كان في ليلة الاثنين الموافق 1891/11/23م¹⁹.

وعلى الرغم من كل هذه الأحداث لم يبادر الخليفة عبد الله التعايشي بالحسم العسكري ضد الأشراف، وإنما عمد إتباع الطرق السلمية، فأرسل وفداً إلى الأشراف بقيادة علي ود حلو يدعوهم إلى الصلح وإجابة مطالبهم غير أنهم رفضوا ذلك وبدأوا يطلقون النار على منزل الخليفة عبد الله التعايشي الذي بادرت قواته بالدفاع وإستمر الإشتباك بين الطرفين حوالي ساعة من الزمان، على أن التعايشي لم ييأس من الحل السلمي فأرسل للأشراف وفداً آخر يدعوهم للسلم وفي هذه المرة وافقوا لكنهم طلبوا أولاً أن يُعلمهم التعايشي بالشروط التي يتم بموجبها الصلح، وحرصاً من الخليفة على تحقيق الصلح لم يضع شروطاً له وإنما أعطى الأشراف الفرصة أو الحق في وضع الشروط التي يريدونها وبذلك تم الصلح بين الطرفين في يوم الأربعاء 20 نوفمبر، وتعهد الخليفة بتنفيذ شروط الصلح كما طلبها الأشراف وهي:²⁰

1. العفو التام عن جميع المشاركين في التمرد²¹.
 2. أن يجعل للخليفة محمد شريف مكاناً يليق به وأن يرد له راياته التي أخذت منه في عام 1886م، وأن يخلي له في مجلسه كرسي²².
 3. أن يخصص للخليفة شريف ولأولاد المهدي وزوجاته راتباً من بيت المال²³.
- لقد وافق التعايشي على كل هذه الشروط ولكنه إشتراط على الأشراف شرطاً واحداً كان بالنسبة له ضرورياً وهو أن يسلم الأشراف سلاحهم وأن يتعهدوا بطاعته طاعة عمياء وهو الشرط الذي قبله الأشراف على مضض، ورغم ذلك كله أبقى التعايشي الملازمين في ساحة المسجد متأهبين للتصدي لأي إنتكاسة قد تحدث من الأشراف²⁴.
- لم يلتزم الخليفة عبد الله التعايشي بما وعد به الأشراف، ذلك أنه بعد حوالي عشرون يوماً فقط من إبرام الصلح وبعد أن إطمأن لموقفه أمر بإلقاء القبض على كل من أحمد سليمان ومحمد فوزي محمود وأخيه أحمددي ومعهم آخرون وقام بإرسالهم إلى حمدان أبو عنجه في فشودة حيث أمره بالقضاء عليهم وقتلهم الأمر الذي دفع الخليفة شريف إلى الإحتجاج ممتنعاً عن صلاة الجمعة والجماعة وتلك فرصة ذهبية وجدها الخليفة عبد الله التعايشي للقضاء على شريف حيث ألقى القبض عليه²⁵ وزجه في السجن بعد أن أدانه مجلس من العلماء وظل الخليفة شريف في السجن حتى أطلق سراحه أثناء تقدم حملة الفتح، وعلى إثر هذه الفتنة والقضاء عليها طارد الخليفة عبد الله التعايشي الدناقلة وبقيّة أبناء البحر المقيمين في كردفان، كما صفى الجزيرة من الأشراف²⁶.

وهكذا تمكن الخليفة عبد الله التعايشي من القضاء على قوة خصومه وإن لم يكن قضاءً نهائياً فعلى الأقل في تلك المرحلة الحرجة التي باتت الثورات تندلع تبعاً من عناصر وكيانات مختلفة الواحدة تلو الأخرى الأمر الذي كان ينبئ بشر مستطير كان لا يزال يهدد مصير الدولة المهدية ومصير حكم الخليفة عبد الله التعايشي على وجه الخصوص.

ومما هو جدير بالذكر أن وثيقة الإدانة التي صدرت من العلماء ضد الخليفة شريف تعد من أقوى الوثائق السياسية التي حررت في المهديّة²⁷، وفيما يلي نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم. حمداً لمن جعل الإستقامة طريقاً للسلامة، وشكراً لمن وفق ذوي البصائر على الوقوف على قدم الصدق فصاروا أهل الكرامة، وخص أهل عنايته بأنوار هدايته فاستسلموا لقضائه فاستراحوا من الوقوع في حاوية الندامة، وحض على طاعة ولاية الأمور بقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) لانتظام الحال والسلامة في يوم القيامة، وصلاة وسلاماً على قطب دائرة الأصل النوراني ومنبع الفيض الرحماني وأشرف النوع الإنساني ومعدن السر الرباني سيدنا محمد قصم بسيف الحق ظهر الخلاف ومكن حسام الشرع في رقاب أهل الإنحراف، وعلى آله وأصحابه الذين قوي في الله يقينهم فأمنوا بالغيب فإتكشف غياهب الشك عن بصائرهم فإزدادوا إيماناً وتمكن دينهم²⁸.

وبعد، فإن الخليفة محمد شريف حامد قد بارز خليفة المهدي عليه السلام بالعداوة والعصيان والخلاف حتى تظاهر بالحراية له وشهر السلاح عليه ولم يبال بإدخال الخلل في الدين وشق عصا المسلمين، فبعد هذا كله قد اجتمع جماعة المسلمين وأحضرهم بين أيديهم وحلفوه على كتاب الله تعالى، فحلف وعاهد على أن لا يعود لمثل ما صدر منه ثم حضر لخليفة المهدي عليه السلام نادماً على شنيع فعله فقبله مع ما إرتكبه من عظيم الذنب والخطيئة وإستتوبه لله والرسول عما صدر منه فتأب وعاهد أيضاً على أن لا يعود لمثل ما صدر منه وأن يكون تحت إشارة خليفة المهدي عليه السلام في الإمتثال والوقوف على الإشارة وصفاء البال، فعند ذلك عفا عنه خليفة المهدي عليه السلام وقابله بالصفح والإكرام، ثم نقض العهد وعاد على الخلاف وإضمار السوء والإصرار على عدم الإمتثال فضلاً عن كونه تاركا للجمعة والجماعة، فعند ذلك اجتمع أصحاب المهدي عليه السلام من قضاة الشرع الشريف وأمراء وعمد وأعيان وسألوه عن جميع ذلك وعن نقض العهد فاعترف بجميع ذلك بل قابلهم بأقبح المقال وتفوه بما يؤدي إلى سوء الحال حتى قال أن الغوث معه وفي حربه وأن نصرة المهديّة تحت قدمه وأن الصحابة إعترضوا على النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من سوء المقال ولا زالوا يراجعونه بالقول اللين والحسن والمذاكرة لعله يرجع عن ذلك ويتبع الحق وتلوا له منشورات المهدي عليه السلام في حق خليفته عليه رضوان الملك العلام حتى تلوا له منشور المهدي عليه السلام الأمر له فيه بذكر اسمه وشخصه بإتباعه لخليفة المهدي عليه السلام وعدم خروجه عن أوامره على مر الليالي والأيام فعند ذلك أظهر التوبة والندم. فنظراً لما حصل منه من نقض العهد وعدم إستمراره على التوبة السابقة إقتضى نظر أصحاب المهدي عليه السلام طبق الوجه الشرعي وضعه بالسجن تأديباً له. ولولا اظهار التوبة الذي حصل منه لكان جزاؤه أعظم من السجن.

وقد ثبت جميع ذلك لدى أصحاب المهدي عليه السلام الآتي ذكر أسمائهم وأختامهم فيه أدناه وجميعهم شهدوا عليه شهادة حق يؤدونها بين يدي أحكم الحاكمين والسلام.

1309 - 7 أغسطس سنة 1891 / 25 يوليو سنة 1892

الثورات السياسية (القبلية) ضد حكم الخليفة عبد الله التعايشي:

لم تكن ثورات الأشراف هي الوحيدة التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي، فقد قامت ضده ثورات أخرى في أنحاء متفرقة من البلاد خاصة في الغرب الذي كان الخليفة يأمل في الإبقاء عليه هادئاً ليتفرغ للجهات الأخرى الأكثر عداوة إلا أن الطبيعة أبت إلا أن تضعف من أزمات ومتاعب الخليفة³⁰، ذلك أنه بعد رحيل زقل من دارفور شهدت البلاد هزة سياسية عنيفة اضطرب لها حبل إدارتها وكاد الزمام يفلت من يد الخليفة، فقد تمرد مادبو زعيم الرزيقات وتبعه في عصيانه خلق كثير من الرزيقات والهباتية والمعاليا ومال اليه بنو هلبة، وتمرد يوسف ابن السلطان إبراهيم ثورة عنيفة ووجد من يشد أزره من بين رعاة الإبل في شمال دارفور والبقارة في جنوبها، كما أيده سلطان دار برقو³¹.

عصيان مادبو:

كانت من بين الأسباب التي دفعت مادبو بالخروج على التعايشي هي النفور من الهجرة إلى أم درمان وإعتراضاً لكون الخليفة عبد الله التعايشي وهو ابن القبيلة الصغيرة سيداً عليه، هذا فضلاً عن خوف مادبو من إنتقام الخليفة منه إن هاجر إلى أم درمان فقد أفرط في عدائه للخليفة، وبالتالي هو لم يعد يطمئن للوعود التي بذلها له الخليفة بالأمان في شخصه وولده وماله، غير أن تقدير مادبو لنوايا الخليفة نحوه لم يكن بعيداً فقد كتب التعايشي إلى محمد قرقساوي في يوليو من عام 1886م يقول:(أما في خصوص مادبو وأتباعه ما دام أنهم إرتدوا وندبتم إليهم سرية فالله يهلكهم فشدوا حيلكم على المخالف المذكور وحرضوا الأنصار على جهادهم وإحضارهم في حال الحياة ليزوقوا السوء جزاء لما فعلوه)³².

وبالتالي فإن نية التعايشي تجاه مادبو تبدو جلية واضحة من خلال هذه الرسالة، فهو يريد من الأنصار أن يحضروه أمامه حياً لكي يذيقه أصناف العذاب والعقاب جزاءً على تمرد، وعلى ذلك فليس ثمة خيار أمام مادبو سوى أن يشمر ساعده ويستعد للحرب وفيها أما أن ينتصر ويعيش عزيزاً أو يموت كريماً إذا هزمته قوات التعايشي، ولكنه لا يرضى أن يذل بطلب العفو من التعايشي وهو سيد قوم يكرهون الضيم بأي حال.

لقد تمكن محمد كرقساوي وبفضل معاونة لقيها من الأمير يوسف ابن السلطان إبراهيم عامل دارفور الذي تركه زقل، تمكن من محاربة مادبو والإنتصار عليه وأسرهم حيث أرسل إلى أم درمان أسيراً، إلا أنه لم يصلها لأن أبو عنجه قتله في الأبيض نتيجة لضغائن بينهما قبل المهديّة، وبعث برأسه إلى أم درمان³³.

عصيان يوسف إبراهيم:

ظن الأمير يوسف في دارفور أن الفرصة لاحت له لكي يستقل ويتربع على عرش آبائه وأجداده، فطلب من كرم الله الخروج من داره، ولم يكتف بذلك بل كاتب الخليفة بذلك، وكان رد فعل الخليفة تجاهه هو الدعوة إلى إجتماع الكلمة مبيناً له أنهم أخوان في الله وفي الدين، إلا أنه بلغ مسمع الخليفة إباحة يوسف للمنكرات وشرب الخمر في الفاشر، الأمر الذي جعل الخليفة يكتب له داعياً إياه للحضور إلى أم درمان لتجديد البيعة كما فعل غيره من الأمراء، الأمر الذي ظنه يوسف مكيدة مدبرة لسجنه واقصائه عن عرش آبائه فلم يرضخ للأمر، ولما كان الخليفة مصرّاً على إخضاعه ولى عامله على كردفان الأمير آدم عثمان أمر محاربة يوسف³⁴، فبدأ يعد لهذه المهمة منذ سبتمبر 1887م، حيث جمع كل جيش كردفان وإتجه إلى شكا وهناك انضم إليه كرم الله فبلغت قواته سبعة عشر ألف مقاتل، وفي ديسمبر إلتقى الجيشان وإنهزم جيش الفور وإحتل عثمان دارا، غير أن يوسف لم يستسلم لتلك الهزيمة حيث جمع فلول جيشه لمعركة فاصلة وإنهزم فيها وإعتقل وأعدم وأرسل رأسه إلى أم درمان وأصبح عثمان آدم أميراً على كردفان ودارفور³⁵.

مقاومة قبائل الشرق والوسط:

تمركزت المقاومة في شرق السودان في قبيلة الشكرية التي تعد من أكبر قبائل السودان حيث بلغ تعدادها في أواخر العهد التركي المصري نحواً من نصف مليون حسب التقديرات، ولم يستجب الشكرية لدعوة الخليفة عبد الله التعايشي وفضلوا اللجوء إلى الحبشة وناصبوا الدولة المهدية العداء، فبادر التعايشي باعتقال زعماءهم في أم درمان وعلى رأسهم الشيخ عوض الكريم الذي توفي في المعتقل، ثم أخضعت قبيلة الشكرية إخضاعاً تاماً أو أنها قبلت حكم الخليفة أو أظهرت قبولاً له بعد أن تبين لزعمائها أن مقاومة النظام لم تأت إلا بالخراب والتشتت، وفي وسط السودان إنطلقت المعارضة من قبيلة العبابدة والبطاحين ورفاعة الهوي والجعليين، حيث جاءت مقاومات تلك القبائل بأشكال مختلفة ومن منطلقات متباينة، إلا أن الخليفة عبد الله التعايشي تمكن من إخضاعهم جميعاً وبأساليب مختلفة³⁶.

تلك إذن جوانب يسيرة من المشكلات السياسية التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي، ولم تكن هي كل المشكلات، فقد شهدت بلاد السودان خلال تلك الفترة حركات معارضة في شتى أنحاءها، الأمر الذي أرهق الدولة وحال دون مضيها في تحقيق أهدافها، غير أن الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها في هذا الصدد هي موقف الخليفة عبد الله التعايشي من كل تلك الحركات المعارضة فهو لم يعتمد إلى إستخدام القوة في مواجهة أيٍّ منها إلا عندما إستعصى عليه حل الأمر سلمياً، الأمر الذي يؤكد صدق الخليفة عبد الله التعايشي وحرصه التام على المحافظة على الدولة ولكن هيئات.

ج- التحديات العسكرية التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي:

لم تكن حركات المعارضة والمقاومة التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي مجردة من الممارسات العسكرية، فقد استُخدمت العساكر لحسم معظم الحالات إن لم يكن كلها، إلا أنها يمكن النظر إليها باعتبارها جوانب سياسية إستدعى التعامل معها تدخلاً عسكرياً فكان ما كان، أما التحديات العسكرية المقصودة فهي تلك الحروب الخارجية التي خاضتها الدولة المهدية مع القوى المجاورة في سبيل نشر الدعوة المهدية وبسطها في شتى الأقطار الأمر الذي كان من أولى أولويات المهدي بعد طرد الأتراك من السودان.

فالمهدي رغم فترته القصيرة والتي لم تمكنه من ممارسة أي نشاط خارجي فعلياً إلا أنه أرسل عدة خطابات لقوى الخارج يدعو لاعتناق المهدية، وصرح بأنه سيغزو مصر والحجاز وتركيا، ولما لم يتح له الوقت لفعل شيء من هذا كان على التعايشي مواجهتها، وكان يعتقد أن كسب المعارك الحربية هو السبيل الوحيد ليثبت هيبة الخلافة في الداخل والخارج، وقد دفعه هذا الاعتقاد إلى الدخول في مغامرات حربية متعددة أهمها³⁷:

الحرب مع الحبشة:

كان مبدأ الصراع بين المهدية والأحباش هو قيام الأحباش بمساعدة الحاميات الحدودية ضد المهدية، وتحديدًا حامية القلابات، وعلى الرغم من ذلك إلا أن المهدي كان يتحاشى الدخول في صراع معهم وذلك لأسباب منها أن الصراع مع الأحباش من شأنه أن يعرقل طموح المهدي ومساعدته في التحرك نحو الشمال، كما أن الأحباش من الممكن أن يشكلوا خطراً على الدولة المهدية من الناحية الشرقية، لهذا كله إكتفى المهدي بتوجيه عماله في الشرق بمراقبة الحدود مع الحبشة والعمل على تأمينها، في وقت كان يؤمن بأن دخول الأحباش في المهدية هو السبيل الوحيد لردم الهوة بينها وبينهم، وكان يوحنا ملك الحبشة قد أرسل يطلب توضيحاً عن المهدية فرد له المهدي بخطاب بعثه له في يونيو 1885م أوضح له فيه أنه مرسل من الله للدعوة لفكرة المهدية، ذاكراً له الملوك والدول الذين انتصر عليهم المهدي، وأن الهزيمة والموت ستكون مصير كل من لم يؤمن به، وجاء رد يوحنا على رسالة المهدي متأخراً حيث جاء بعد وفاة المهدي، إلا أن المهم فيه أن يوحنا رفض الدخول في الإسلام والمهدية، بل طلب من المهدي وأعوانه الدخول في المسيحية، في وقت واصل عدائه تجاه المهدية حيث أمر جنوده بمهاجمة القلابات وتخريبها وقتل عاملها ود أرباب، كما إتجه نحو إيواء بعض القبائل المعارضة للمهدية³⁸.

أمام هذا الوضع أمر الخليفة عبد الله التعايشي عامله في القلابات يونس الديكم بحماية الجبهة الشرقية وعدم الدخول في حرب مباشرة مع الأحباش وذلك نظراً للقلق الداخلي التي كانت تشهدها الدولة المهدية والتي ما أن هدأت حتى عين التعايشي الأمير حمدان أبو عنجة عاملاً على القلابات³⁹، حيث حمل أبو عنجة معه خطاباً ليوحنا منذراً، ولما لم يلق رداً خرج

بجموعه متوغلاً⁴⁰ حيث هاجم الأحباش وتمكن من دخول غندار عاصمة الأحباش، ومنها تراجع نحو القلابات حيث أخذ يستعد لمواجهة الهجوم الحبشي الذي بات مؤكداً بعد أن وصلت الأنباء بأن يوحنا ملك الحبشة قد حشد كل الأحباش وجمع حوالي 250 ألف مقاتل لمهاجمة القلابات، من أجل تحقيق نصر سريع وحاسم على المهدية، وفي تلك الأثناء أصيب أبو عنجة بحمى فمات في يناير من عام 1889م، وتم تعيين الزاكي طمل خلفاً له، حيث خاض طمل عدداً من المعارك ضد الأحباش كان من بينها معركة القلابات⁴¹ التي تعد من أشد ما لاقى الأنصار، لكنهم تذرعو بالصبر والثبات حتى جرح يوحنا جرحاً مميتاً أدى إلى إشاعة الفوضى والاضطراب في معسكر الأحباش وانفطر عقد نظام جيوشهم التي ارتدت من القلابات ووراءها الأنصار يقتلون ويأسرون حيث استولوا على غنائم لا تحصى من نساء وعبيد وخيول وأسلحة وتاج الإمبراطور نفسه، وكان لهذا النصر العظيم رنة فرح في أم درمان وارتفعت معه روح المهدية إلى قمته⁴²، وبذلك تحولت العلاقة بين المهدية والأحباش من الصراع المسلح إلى البحث عن المصالح المشتركة⁴³.

الحرب مع مصر:

كان المهدي قد بعث إنذاراً إلى علماء مصر وضح لهم رغبته في غزوها حيث قال: (فإنا عن قريب حاضرون بحزب الله بجهتكم إن شاء الله تعالى فإن قابليتمونا بالتسليم والانابة إلى الله الكريم فابشروا بكل خير، وإن أبيتم إلا الاصرار على مؤازرة الكفار فلا حول ولا قوة إلا بالله..)⁴⁴.

أصرّ التعايشي على مواصلة مساعي المهدي بغزو مصر وكانت أولى خطواته لذلك استنفار قبائل الوسط وحشهم على دعم الحملة المزمع ارسالها لغزو مصر بقيادة الأمير عبد الرحمن النجومي⁴⁵ الذي كان بدنقلا وقد اشتد الخلاف بينه وعاملها مساعد، حيث بعث الخليفة بأمناء لبحث أسباب النزاع فحكموا بأن يرجع مساعد إلى أم درمان، ولكن الخليفة عين يونس الدكيم أميراً عاماً على دنقلا يقيم فيها بينما يغادرها النجومي غازياً إلى مصر، في وقت لم يكن الخلاف بين النجومي والأمير يونس الدكيم بأقل منه مع مساعد، وفي حالة من اليأس تحرك النجومي من دنقلا في 3 مايو 1889م، مع أربعة ألف مقاتل ومعهم سبعة ألف من النساء والأطفال بمؤن قليلة وعتاد متواضع، سيما وهم سيمرون على أراضي مغفرة قليلة الثمر والإنتاج، وفي هذه الأثناء نشطت جاسوسية ودهاوس قائد حامية الحدود في حلفاً مستقياً أحوال النجومي وقواته، وأمر السكان بالضفة الغربية للنيل إخلاء القرى من أنفسهم وأغذيتهم وليتركوها للأنصار خراباً وينتقلون إلى الضفة الشرقية تحت حماية جيش الحدود⁴⁶.

وفي 16 مايو 1889م أرسل جرانفيل الذي كان على رأس الجيش المصري خطاباً إلى النجومي يدعوه للتسليم ويعده بالأمان له ومن معه، ويوضح له أن التعايشي لا يخفى عليه كما لا

يخفى نور الشمس عن أحد أن الاستيلاء على مصر محال فهو يغرر به وبرجاله ليتخلص منهم، غير أن النجومي رد على تلك الرسالة فذكر لجرانفيل أن جيشه الكبير ومعداته لا تخيفهم فهم لا يخافون إلا الله وذكره بما حدث لهكس وغردون ولجيوشهم الكثيرة العدد والأسلحة، وذكر له أنهم سوف لا يستولون على الأقاليم الجنوبية من مصر فحسب بل على القطر كله لأن الله وعدهم بالنصر⁴⁷، وكان أول التحام بين القوات المصرية والمهدوية في أرجين عندما كانت قوات النجومي ترمي إلى ورود الماء في وقت كان قائد الجيش المصري متابعاً لكل تحركاتهم، وأصدر النجومي أوامره بأن يتم فتح الطريق لجلب الماء وفي سبيل ذلك دارت مقتلة عظيمة بين الطرفين كانت الخسائر فيها جسيمة حيث استشهد من جيش المهديّة عدداً كبيراً، وأسر آخرون كما جرح آخرون⁴⁸.

كان اقتراح عبد الحليم مساعد بعد تلك الواقعة الانسحاب جنوباً لعدم تكافؤ المعركة بالإضافة إلى عدم وصول امدادات من دنقلا، إلا أن ود النجومي رفض الاقتراح وتهيَّج قائلاً: (لن أعود إلا محمولاً على الأعناق)⁴⁹، حيث واصل السير شمالاً، وكان الجيش المصري بقيادة جرانفيل معسكراً في قرية توشكي التي شهدت المعركة الأخيرة للنجومي والتي انتهت بقتل ما يقرب من 1200 من رجال النجومي، ووقع الباقي أسرى، بينما ظل النجومي يقاتل حتى الرمح الأخير حيث لقي حتفه⁵⁰.

لقد كانت معركة توشكي البداية الفعلية لنهاية الدولة المهدية، فقد فقدت فيها الدولة المهدية خيرة رجالها، وقوام جيشها، الأمر الذي أفقدها الثقة في نفسها كما فقدت ثقة الأهالي المؤيدين لها، وتلك أموراً سهلت فيما بعد مهمة قوات الغزو الإنجليزي المصري في اجتياحها واسقاط عاصمتها.

د- دور التحديات السياسية والعسكرية في التعجيل بنهاية الدولة المهدية:

إن مما لاشك فيه أن تلك الصراعات السياسية والعسكرية التي واجهت الدولة المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي أو بالأحرى أنها قد واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي، لا شك أنها قد أضرت بالبلاد في كافة النواحي السياسية والاقتصادية، وبالتالي فإننا نستطيع أن نتخيل حجم الموارد المالية والبشرية التي تدفقت في تلك الصراعات سواء كانت الداخلية منها أو الخارجية وكيف سيكون الحال لو أنها استُخدمت في مجالات من شأنها بناء الدولة المهدية، إنه من خلال دراسة التحديات السياسية والعسكرية في الدولة المهدية يتضح بجملة أنها أي تلك التحديات وقفت دون تقدم الدولة المهدية بل انها تسببت في نهايتها وذلك كونها:

1. أفقدت الدولة العديد من الرجال كانوا في الأساس من النخبة الحاكمة في الدولة وبالتالي كان من الأولى أن يتم الاستفادة منهم في ثغرات الدولة السياسية والإدارية والعسكرية،

يأتي في مقدمتهم الأمير عبد الرحمن النجومي الذي لقي حتفه في حرب مصر، وكذلك الخليفة الشريف الذي ظل حبيس السجن طوال عهد التعايشي بعد ثورة الأشراف، وكان من الممكن أن يكون لهؤلاء الرجال وغيرهم قيمة وقدرة في الدفع بكثير من الأمور في الدولة المهدية.

2. أفقدت الدولة الكثير من المال وأضرت بمصالحها الاقتصادية، فإلى جانب الأموال التي تم دفعها في تسيير العمليات العسكرية من عدة وعناد وغير ذلك، أهملت الجوانب الزراعية والإنتاجية بشكل عام وذلك بسبب انشغال الجميع بالصراعات الداخلية والخارجية، وما مجاعة سنة 1306 هـ إلا مظهر من مظاهر ذلك الإهمال الذي ضرب اقتصاد البلاد وأضر بمصالحها.

3. أفقدت الدولة الكثير من الوقت الذي كان يمكن أن تبذله في جبهات أخرى، ففي الوقت الذي كانت الدولة بحاجة لتثبيت أركانها بعد مرحلة البناء وبالتالي تطوير مؤسساتها الإدارية والسياسية والاقتصادية، انشغلت بالصراعات الداخلية وتبععتها الصراعات الخارجية، وأهملت كل تلك الجوانب المنوطة بها الأمر الذي يعد هدرًا للوقت بدليل أن الدولة عندما فرغت من تلك المشكلات الداخلية كان الوقت قد انتهى بالنسبة لها فما لبثت أن تفاجأت بالغزو الخارجي والذي حال دون استمرارها.

كان جديرٌ بهذه الظروف وغيرها أن تعجلُ بنهاية الدولة المهدية وبالتالي زوالها الذي جاء بواسطة ذلكم الغزو الأجنبي المسلح بل المدجج بأحدث أنواع أسلحة الدمار الفتاكة حينها والذي بدأ الأعداد له منذ وقت مبكر بالاستعانة بالطلّاع والوفود الاستخبارية واستمالة نفر من معارضي النظام وأعدائه الذين ما بخلوا بمد الغزاة بما عندهم من معلومات عن حالة البلاد والوهن والضعف الذي بدأ يدب في أوصال الدولة⁵¹.

الخاتمة:

إن حكم الخليفة عبد الله التعايشي لم يكن حكمًا تسلطيًا، بما يتطلب كل ذلكم العداء الذي لقيه من القبائل، فقد حدثت تحولات في النظام الإداري وأخذ يتخلص من بعض الأساليب القمعية ويصبح أكثر قبولاً لدى السودانيين، وبدأت الدولة تتحول إلى ملكية إسلامية من النوع المألوف، وبالتالي كان يمكن بذلك تجاوز البداية المتسلطة التي بدأ بها حكم الخليفة عبد الله التعايشي⁵² حسب اعتقاد البعض، ولكن دون جدوى، لقد انتهى الوقت، وتبقى الصراعات الداخلية والحروب الخارجية هي المسؤولة الأولى والأخيرة في التعجيل بنهاية الدولة المهدية التي ماتت في طور النشأة

النتائج:

1. سعى الخليفة عبد الله التعايشي جاهداً لاستكمال مشروع الدولة السودانية الحديثة التي بدأها محمد أحمد المهدي، وأن ثمة تحديات سياسية وعسكرية واجهته وكانت وراء النهاية المبكرة للدولة المهدية.

التوصيات:

1. الوقوف على أهم العوامل التي كانت وراء تلك التحديات للاستفادة منها في مستقبل الحكومات.
2. دراسة أنماط الصراع بين العناصر السودانية وتحليلها ومقارنتها بما يجري اليوم داخل أروقة الحكم والسياسة في السودان، وبالتالي معرفة القواسم المشتركة بينها، الأمر الذي سيعطي قيمة يمكن الاستفادة منها.

هوامش:

(Endnotes)

1. أبو سليم، محمد إبراهيم: العلماء والأمراء في المهدية: تجربة حسين الزهراء، الإسلام في إفريقيا، مجموعة بحوث، إشراف ومشاركة مدثر عبد الرحيم الطيب و التجاني عبد القادر، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، نوفمبر 2001م، ص135.
2. هولت، ب.م: دولة المهدية في السودان في عهد الخليفة عبدالله 1885 - 1898م، ترجمة هنري رياض وآخرون، دار الجيل - بيروت، ومكتبة خليفة عطية - الخرطوم، د.ت، ص124.
3. القدال، محمد سعيد: تاريخ السودان الحديث 1820 - 1955م، دار مصحف إفريقيا للنشر، الخرطوم، 2002م، ص235.
4. القدال، محمد سعيد: مرجع سبق ذكره، ص235.
5. شرارة، عمر علي محمد طه: الدولة الدينية في السودان، الشركة العالمية للطباعة والنشر، السودان، ط1، 2011م، ص108.
6. نفس المرجع، ص108.
7. نفس المرجع، ص 108، 109.
8. شرارة، عمر علي محمد طه: مرجع سبق ذكره، ص 109، 110.
9. شبكية، مكي: تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ط2، 1980م، ص696.
10. سلاطين باشا: السيف والنار في السودان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ت، ص172.

11. ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون - من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2009م، 144.
12. القدال، محمد سعيد: مرجع سبق ذكره، ص233.
13. القدال، محمد سعيد: مرجع سبق ذكره، ص 290.
14. حنان دباخ: الثورة المهدية في السودان (1881 - 1899م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة محمد خيصره بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2013م، ص57، 58.
15. مالك، محمد محجوب: المقاومة الداخلية لحركة المهدية (1881 - 1898م)، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط1، 1987م، ص206.
16. حنان دباخ: المصدر السابق، ص58.
17. مالك، محمد محجوب: مرجع سبق ذكره، ص206.
18. شببكة، مكي: مرجع سبق ذكره، ص714.
19. مالك، محمد محجوب: المرجع السابق، ص218.
20. مالك، محمد محجوب: مرجع سبق ذكره، ص219.
21. نفس المرجع، ص219.
22. نفس المرجع، ص219.
23. نفس المرجع، ص219.
24. نفس المرجع، ص219.
25. مالك، محمد محجوب: مرجع سبق ذكره، ص220، 221.
26. أبو سليم، محمد إبراهيم: الحركة الفكرية في المهدية، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، ط1، 1970، ص33.
27. نفس المرجع، ص33.
28. أبو سليم، محمد إبراهيم: منشورات المهدية، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، 1969م، ص 108.
29. أبو سليم، محمد إبراهيم: منشورات المهدية، مصدر سبق ذكره، ص 108، 110.
30. شرارة، عمر علي محمد طه: مرجع سبق ذكره، ص107.
31. الحسن، موسى المبارك: تاريخ دارفور السياسي، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، د.ت، ص 92.
32. نفس المرجع، ص93، 94.

-
-
33. شببكة، مكى: مرجع سبق ذكره، ص215.
 34. نفس المرجع، ص 215، 216.
 35. القدال، محمد سعيد: مرجع سبق ذكره، ص293.
 36. القدال، محمد سعيد: مرجع سبق ذكره، ص293، 296.
 37. الجمل، شوقي: تاريخ السودان وادي النيل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 2008م، ص687، 688.
 38. أحمد، حاتم الصديق محمد: علاقات المهديية الخارجية (1898 - 1881م)، مجلة الوسيلة للعلوم والتكنولوجيا، العدد الثالث، 2018م، ص7.
 39. نفس المرجع، ص7، 8.
 40. شببكة، مكى: السودان عبر القرون، دار الجيل - بيروت، 1991م، ص 410.
 41. أحمد، حاتم الصديق محمد: مرجع سبق ذكره، ص9.
 42. شببكة، مكى: مرجع سبق ذكره، ص413.
 43. أحمد، حاتم الصديق محمد: المصدر السابق، ص9.
 44. علي، عبد الغفار محمد: أثر العوامل السياسية والاقتصادية في سقوط دولة المهديية (1881 - 1898م)، أصداف للطباعة والإعلان، الخرطوم، 2004م، ص144.
 45. أحمد، حاتم الصديق محمد: المرجع السابق، ص5.
 46. شببكة، مكى: السودان عبر القرون، مرجع سبق ذكره، ص414.
 47. الجمل، شوقي: مرجع سبق ذكره، ص690.
 48. رندة عبد الله: الأمير عبد الرحمن النجومي، موقع وزارة الدفاع السودانية، يناير 2012م.
 49. نفس المصدر.
 50. الجمل، شوقي: مرجع سبق ذكره، ص690.
 51. شرارة، عمر علي محمد طه: مرجع سبق ذكره، ص113.
 52. القدال، محمد سعيد: مرجع سبق ذكره، ص302، 303.